أكاديمية أنور قرقاش الدبلوماسية
ANWAR GARGASH DIPLOMATIC ACADEMY

Centre for Climate Diplomacy

تأمُّلات دبلوماسية

مؤتمر الأطراف الثلاثون في البرازيل: بين الخُطب والأفعال الملموسة والوضع الجديد في الشؤون الجيوسياسية العالمية

سبتمبر 2025

مارسيلو بريتو

هو المبعوث الخاص لمؤتمر الأطراف الثلاثين للمناطق دون الوطنية في منطقة الأمازون والمدير الأكاديمي للمركز الزراعي البيئي في مؤسسة دوم كابرال في البرازيل

بينما يجتمع العالم في الأمازون لمناقشة مستقبل المناخ، تتقاطع الوعود القديمة مع القضايا المُلحّة الجديدة. فمع استمرار الاتجاهات الجيوسياسية والتكنولوجية الكبرى، تبرز المعادن الحيوية كعناصر أساسية في عملية تحول الطاقة التي لا تزال غير مفهومة إلى حد بعيد وتتصف بقدر كبير من عدم المساواة.

في نوفمبر 2025، ستستضيف مدينة بيليم دو بارا المؤتمر الثلاثين للأطراف (كوب 30) تحت أنظار العالم. وستكون هذه لحظة رمزية: فبعد أكثر من ثلاثة عقود من قمة الأرض التاريخية (ECO-92) التي عقدت في ريو دي جانيرو عام 1992 ـ والتي أطلقت عملية الحوكمة المتعددة الأطراف للمناخ ـ ستستضيف البرازيل مرّة أخرى قمةً حاسمةً في خضم اضطرابات جيوسياسية وتحول عالمي. ولكن في مواجهة سيناريو متزايد التعقيد، يبقى السؤال الأساسي: هل سنكرر نفس الخطب، أم أننا نقترب أخيرًا من اتخاذ إجراءات حقيقية وملموسة؟

منذ انعقاد مؤتمر الأطراف الأول في عام 1995، أحرزت العلوم تقدماً ملحوظاً. فلا تترك الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، الذراع العلمي للأمم المتحدة، أي شك في الآثار الكارثية للاحتباس الحراري، التي أصبحت فعلًا حقيقةً واقعةً في جميع أنحاء العالم. ومع ذلك، لا تزال الاستجابة السياسية تتسم بالمثالية والوعود الغامضة والآليات البطيئة - وهو ما لا يرتقي في الغالب إلى مستوى حالة الطوارئ المناخية.

يعتمد نموذج صنع القرار الحالي لمؤتمر الأطراف على توافق الآراء بين ما يقرب من 200 دولة. وهو مبدأ نبيل، لكنه يفتقر إلى الفعالية في الممارسة العملية. إن الطبيعة التنافسية للدول، وتباين المصالح، وضغوط جماعات الضغط الاقتصادية تجعل إدارة شؤون المناخ عمليةً بطيئةً ومحبطةً في كثير من الأحيان.

لقد حان الوقت لإعادة النظر في هذا النموذج. فيمكن أن تؤدي النهج الأكثر مرونة - القائمة على الاتفاقات الإقليمية أو المعاهدات الثنائية أو الكتل الاقتصادية - إلى التوصل إلى حلول محددة بسرعة أكبر. إن حصر الموضوع في منظومة تتطلب الإجماع للمضي قدمًا يُبقي العالم في حالة من الغموض في فترة تتصف بالأزمات.

"الانتقال العادل" يحتاج إلى مضمون ـ وإلى عمل

أصبح مصطلح "الانتقال العادل" أحد أكثر المصطلحات شيوعًا في التقارير والخطب والالتزامات. ولكن ماذا يعني هذا المصطلح على أرض الواقع؟ من هم المشاركون في هذا التحول؟ من الذي يتخلف عن الركب؟

في معظم الحالات، لا تُترجم الخطابات إلى سياسات عامة شاملة ـ سواء كانت وطنية أو عابرة للحدود. ولكن واقع الأمر أنه لا يزال الملايين من الناس ـ لا سيما في البلدان النامية ـ محرومين من الاستفادة من مزايا الاقتصاد الأخضر الجديد. ولذلك، يجب أن تتجاوز العدالة المناخية حدود الخُطب وتنتقل إلى وضع الميزانيات والتشريعات والبنية التحتية.

الطاقة: العقائد أم الواقعية الاستراتيجية؟

أجندة الطاقة هي مجال آخر غالباً ما تتخطى فيه الخطابات الواقع القائم. فقد أدى الضغط العالمي للقضاء على الوقود الأحفوري إلى ظهور حركة عالمية، ولكنها لم تكن دائماً حركةً عقلانيةً. حيث تُدفَع العديد من البلدان نحو أهداف غير واقعية دون مراعاة واقعها الاجتماعي والاقتصادي وقدراتها التقنية أو أمنها في مجال الطاقة. ومن الواضح فعلًا أن العديد من الوعود التي قُطعت في السنوات الأخيرة غير قابلة للتحقيق.

فحتى في السيناريو المتفائل، وبالوتيرة الحالية، من المتوقع أن تشكل الطاقة المتجددة 30% فقط من مصادر الطاقة العالمية بحلول عام 2050. وربما تحقق بعض الدول الغنية الحياد الكربوني، لكن العديد من الدول الأخرى ـ خاصة دول جنوب العالم ـ ستواصل اعتمادها على الفحم والنفط والغاز. التحول الحقيقي يتطلب وقتًا واستثمارًا، وقبل كل شيء تخطيطًا استراتيجيًا ذكيًا. لا مكان للأيديولوجيا. هنا، من المتوقع أن يحدث مزج بين الحلول القائمة على الطبيعة (NBS) والحلول القائمة على العلم (SBS) وقد يتيح ذلك فرصًا جديدةً لهذا التحول.

الزراعة التجديدية: من الانهيار إلى تعافي التربة

في مجال إنتاج الغذاء، نحن أيضاً عند مفترق طرق تاريخي. فقد ساعدت الثورة الخضراء في القرن العشرين، التي قامت على الميكنة والاستخدام المكثف للأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية، في تجنب حدوث مجاعة عالمية، ولكن بتكلفة بيئية باهظة. اليوم، تُظهِر نسبة 35% من الأراضي الزراعية في العالم علامات تدهور شديد.

ولكن لحسن الحظ، هناك نهج جديد يكتسب زخماً وهو: الزراعة التجديدية. استناداً إلى التطورات الحديثة في علم بيولوجيا التربة، تهدف هذه التقنية إلى تعافي النظم الإيكولوجية الزراعية من خلال تقنيات مثل الزراعة بدون حرث، وتناوب المحاصيل، وتكامل المحاصيل والماشية والغابات، واستبدال المدخلات الكيميائية بمدخلات بيولوجية. إنها استجابة ذكية لعقود من استنزاف التربة، تتيح القدرة على الجمع بين الإنتاجية والاستدامة.

بالمثل، في مجالات المعالجة والنقل والتصنيع والاستهلاك، لم يعد من المقبول إهدار ما يقرب من ثلث كل ما ننتجه. هذا يقول الكثير عن مجتمعنا الحالي. بالتالي، يجب ألا ننظر إلى الزراعة وحسب، وإنما إلى النظام الغذائي كلّه.

يمكن لهذا التحول النوعي أن يكون ـ بل ويجب أن يكون ـ في صميم مناقشات مؤتمر الأطراف الثلاثين. إطعام العالم على نحو مستدام سيكون أحد أكبر التحديات في القرن الحادي والعشرين.

الذكاء الاصطناعي والثورة الصامتة

في الوقت نفسه، يفرض التحول الرقمي واقعاً جديداً. الذكاء الاصطناعي يُحدِث ثورةً في قطاعات بأكملها: من تحليل المناخ إلى إدارة الموارد الطبيعية، ومن الأدوية إلى الطب، ومن التعدين إلى إنتاج الصلب. وهو يتيح رصد إزالة الغابات في لحظة حدوثه، وإجراء محاكاة متقدمة للمناخ، ووضع نماذج للإنتاج، وتحسين استخدام المياه والطاقة.

غير أن الذكاء الاصطناعي يثير أيضًا أسئلة جديدة من ناحية المعايير الأخلاقية وفيما يتعلق بالسُلطّة. من الذي يتحكم في الخوارزميات؟ من يمكنه الوصول إلى البيانات؟ يمكن للثورة الرقمية أن تعزز العدالة المناخية أو أن تزيد من حدة التفاوت ـ وهذا يتوقف على كيفية توجيهها (ومن يقوم بتوجيهها).

يجب أن نتذكر أيضًا أن مراكز البيانات الضخمة التي تعمل فعلًا- أو قيد الإنشاء في عدة بلدان - ستمثل قريبًا حصةً كبيرةً من استهلاك الطاقة والمياه على مستوى العالم، لذا يجب توخي الحذر في هذا الشأن.

صعود المعادن الحيوية: ميدان المعركة الجيوسياسية الجديدة

في هذا السياق، يظهر مكوّن رئيس جديد على الساحة العالمية وهو: المعادن الحيوية. فالمعادن مثل الليثيوم والكوبالت والنيكل والتربة النادرة والجرافيت ضرورية لتصنيع البطاريات وتوربينات الرياح والألواح الشمسية وغيرها من المكونات الأساسية للتحول في مجال الطاقة والثورة الرقمية. بدون هذه المعادن، لن تكون هناك سيارات كهربائية أو شبكات ذكية أو أجهزة كمبيوتر كمية.

المشكلة؟ يتصف توزيع هذه الموارد بغياب التكافؤ بشدة. حيث تتمتع دول مثل الصين وجمهورية الكونغو الديمقراطية وشيلي وأستراليا والبرازيل بأكبر احتياطيات و/أو قدرات تكرير. وهذا يخلق تبعيات استراتيجية جديدة ويؤجج النزاعات الجيوسياسية.

وتشغل البرازيل، على وجه الخصوص، مكانةً متميزةً. حيث تمتلك احتياطيات كبيرة من الليثيوم والنيوبيوم والنحاس والجرافيت. ورغم ذلك، لا تزال الدولة تفتقر إلى سياسات صناعية قوية لتحويل هذه الثروة المعدنية إلى قيمة مضافة وتكنولوجيا وسيادة اقتصادية. فبدلاً من الاكتفاء بتصدير المواد الخام، يمكن للبرازيل، بل وينبغي عليها، أن تستثمر في سلاسل إنتاج كاملة، مما يخلق وظائف تتطلب مهارات عالية ويعزز استقلاليتها في مجالي الطاقة والتكنولوجيا.

ومن الأهمية بمكان أن تكون المناقشة حول المعادن الحيوية في صميم مناقشات مؤتمر الأطراف الثلاثين. فالحديث عن تحول الطاقة دون مناقشة الإمداد الآمن والمستدام لهذه الموارد هو تجاهل للمحرك المادي للتغيير. أكثر من ذلك: يفوت البعض أن الصراع العالمي القادم قد لا يكون حول النفط، بل حول الليثيوم والمعادن النادرة.

الشباب كقوة عالمية و"القوة الصامتة"

في غضون ذلك، يحدث الآن إعادة تشكيل صامتة للقوى العالمية. فالغرب يشيخ. والشرق يتصف بالشباب والديناميكية ويتزايد تأثيره. بحلول عام 2030، سيعيش 70% من شباب العالم في بلدان جنوب العالم، وسيشكلون حوالي 60% من الطبقة الوسطى العالمية الجديدة، وسيكونون أصحاب القوة الاستهلاكية، وبالتالي سيقودون اتجاهات جديدة قد لا تتوافق بالضرورة مع اتجاهات الغرب.

بجانب ذلك، تعمل دول مثل المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة وسنغافورة وغيرها على تجميع القوة بهدوء: احتياطيات مالية ضخمة، واستثمارات استراتيجية في العلوم والتكنولوجيا والابتكار، وحصص في شركات وقطاعات رئيسية في عملية التحول العالمي. إنه شكل جديد من أشكال التأثير ـ أقل ضجيجًا، لكنه أكثر تأثيرًا.

البرازيل في المركز: فرصة أم مخاطرة؟

في هذا السيناريو، يُمثّل مؤتمر الأطراف الثلاثون أكثر من مجرد مؤتمر بالنسبة للبرازيل. فهو تجربة لإظهار قدراتها القيادية.

حيث تتمتع البرازيل بظروف فريدة: مصادر طاقة نظيفة، وتنوع بيولوجي وفير، واحتياطيات معدنية هامة، وإنتاج غذائي ضخم، وقدرات علمية، ونفوذ دبلوماسي.

لكنها تنطوي أيضًا على تناقضات: استمرار إزالة الغابات، وتفاوت المساواة الاجتماعية، وتاريخ من التقلبات السياسية التي تُعرّض استمرارية المشاريع الكبرى للخطر. سيترقب العالم ذلك ـ حيث سيترادف الثِقل الرمزي والسياسي لمؤتمر الأطراف الثلاثين مع الشجاعة التي تقود بها البرازيل هذه العملية.

يمكن أن تُشكِّل الدورة الثلاثون لمؤتمر الأطراف نقطة تحول تاريخيةً. بيد أن ذلك لن يحدث إلا إذا كان لدى القادة المجتمعين في بيليم الشجاعة لرؤية التحوّلات الكبرى الجارية ومعالجتها: الشباب كقوة دافعة، والمعادن الحيوية كأساس للاقتصاد الجديد، والذكاء الاصطناعي كعامل تغيير جذري، والحاجة إلى حوكمة مناخية واقعية وأقل أيديولوجيةً بكثير.

لم يعد بوسع العالم أن ينتظر حدوث توافق تام في الآراء. فقد حان وقت اتخاذ قرارات غير مثالية ـ ولكنها ممكنة. الفرق بين مؤتمر الأطراف الذي يبقى في الذاكرة ومؤتمر الأطراف الذي لا يضيف جديدًا يتخلص في إدراك أن حقبة الدبلوماسية الجوفاء قد انتهت.

لقد حان وقت التحرُّك.

حقوق النشر: أكاديمية أنور قرقاش الدبلوماسية 2025.

بيان إخلاء المسؤولية: الآراء الواردة في هذه الوثيقة تُعبّر عن رأي المؤلف فقط ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر أكاديمية أنور قرقاش الدبلوماسية، جهة اتحادية مستقلة، وكذلك لا تعبر عن وجهة نظر حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.